

النشاط الثوري لفيدرالية جبهة التحرير الوطني الجزائرية بفرنسا (1962-1955)

أ- أحمد عشوري
جامعة الجزائر 02

- الملخص:

بعد اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954، تم تأسيس نواة لها بفرنسا باسم "فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا". كانت لها أربعة تشكيلات من 1954 إلى 1962 اضطرت خلالها نقل مقرها إلى ألمانيا نتيجة الخناق المفروض على منضاليها. وقد تمكنت من تأطير الجالية الجزائرية و كسب ثقة المتعاطفين من الأجانب، كما جمعت التبرعات والاشتراكات المالية لصالح الثورة، إلى جانب ذلك نفذت عدة عمليات عسكرية، تخريبية وفدائية طالت منشآت اقتصادية وغيرها من المرافق الحساسة، وبعض الشخصيات والمسؤولين، وتمكنت من تنظيم مظاهرات سلمية للجالية الجزائرية يوم 17 أكتوبر 1961 في باريس، التي قابلتها الشرطة الفرنسية القمع الوحشي مخلفة الكثير من الشهداء، والجرحى، والمفقودين والموقوفين، وكانت هذه المظاهرات دليل قاطع على اكتساح الساحة الفرنسية، حيث أثبتت الفيدرالية قدرتها على التحكم الجيد والفعال في تنظيم صفوف الجالية الجزائرية وكل المناصرين للقضية الوطنية وإسماع دويها من العاصمة الفرنسية.

- الكلمات المفتاحية: الفيدرالية، جبهة التحرير، الجالية الجزائرية، تخريب المنشآت، شبكات الدعم، حظر التجول، المظاهرات.

The summary:

After declare breakont in the first november1954,anucleus has been established in france under the mane.of National Liberation Front federalism in France, It has four sections from 1954 untif 1962 It was obliged to displaced it place in germany,because of it combatants have suffered of difficult situation the federation was able to renforced Algerian people and confidene towards foreigners thefederation was collected a donations financial contributions for the revolution,and also carry out different military operations as the sacrifices, it extend economic establishment and another enclosure,also it killed the personalities and responsible and organized peaceful demonstration for the Algerian community,the manifestation tuach place in 17 october 1961 in paris repression by the French authorities, result many martyrs passed away,and in jured missing people and underarresd, this manifestation,was conclusive proof up stayed the French acena the federation had proved,ther be all to effective controle in organizing the Algerian, community and all supporters the national cause and mabe their voices heard from the capital of French .

- المقدمة:

تفطن مهندسو الثورة التحريرية لأهمية المساهمة التي تقدمها الجالية الجزائرية بالمهجر في إطار الكفاح التحرري، حتى تكون النفس الثاني للثورة التحريرية خصوصا بفرنسا التي يقطنها عدد معتبر من الجزائريين، بحكم الهجرة، بحثا عن العمل لتوفير لقمة العيش لأهلهم وذويهم في الجزائر، زيادة إلى تجنيدهم في صفوف الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى والثانية. ومع مرور الوقت استقر هناك الكثير منهم بعدما رحلوا بأسرهم إلى فرنسا، لكن الحنين إلى الوطن والحرية بقيت عالقة في نفوسهم، إلى أن حان الوقت لإفراغ هذه الشحنة، بعدما تقرر نشاط الجالية الجزائرية

ودعمها للعمل الثوري بفرنسا نفسها، تضامنا مع إخوانهم المجاهدين بالجزائر الذين يكافحون من أجل الحرية التي هجروا بسبب فقدانهم لها.

من هذا المنطلق كان لزاما على جبهة التحرير الوطني، أن تجد تنظيم سياسي بفرنسا على غرار ما هو في أرض الوطن، لتحمل مسؤولية النشاط السياسي والعسكري، ويقوم بتأطير الجالية الجزائرية وهيكلتها لدعم الثورة ومساندتها لإخضاع المستعمر للرضوخ لمطالب الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، وحتى ندرس الموضوع بشيء من التفصيل ارتأينا طرح الإشكالية التالية:

- ماهي الظروف المحيطة بنشأة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا؟

- كيف استطاعت فدرالية جبهة التحرير، تأطير الجالية الجزائرية بفرنسا؟ وماهي نشاطات هذه الأخيرة في دعم ومساندة الثورة التحريرية؟

1- ظروف نشأة فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا.

أدت الجالية الجزائرية دورا هاما في مسار الحركة الوطنية، بداية من نجم شمال إفريقيا إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وحينما كان التحضير لمباشرة العمل المسلح، لم يتم إهمال الدور الذي بإمكانها أن تلعبه هذه الأخيرة، في دعمها للثورة التحريرية خاصة من الجانب المالي، والعمل إلى جانب إخوانهم بالجزائر لتحرير البلاد لكن عندما اشتد كفاح الثورة الجزائرية التي انطلقت شرارتها في الفاتح نوفمبر 1954، حاول الاستعمار الفرنسي وبشتى الطرق و الوسائل، صرف أنظار الجالية الجزائرية عما يجري في الجزائر، لكن بفضل العزيمة والإيمان بالهدف النبيل، الذي تسعى إلى تحقيقه ثورة التحرير المباركة، فاستطاعت الجزائر المكافحة أن تفجر ثورة شاملة في الداخل والخارج ضد الغزاة وأذنانهم، حيث استقبلت الجالية الجزائرية بالمهجر خبر اندلاع الثورة بالترحاب⁽¹⁾. وكان يعتقد أغلب الجزائريين والمناضلين بفرنسا أن مصالي الحاج

هو من كان وراء العمليات العسكرية التي وقعت ليلة أول نوفمبر 1954، لذلك التحقت أعداد كبيرة من المهاجرين في فرنسا وبلجيكا "بالحركة الوطنية الجزائرية" التي انشأها في بداية شهر ديسمبر 1954، حيث كان أغلب العمال بالمهجر يميلون إليه بسبب أزمة "حركة انتصار الحريات الديمقراطية"، ويرون أن له الأهمية في القيادة نظرا لتاريخه العريق في النضال⁽²⁾ أين كان المصاليون يتمتعون بشعبية كبيرة بين العمال الجزائريين بفرنسا. في نفس الوقت تولت جبهة التحرير الوطني مهمة إقناع المصاليين بأنها هي من فجرت الثورة في الفاتح نوفمبر وليست "الحركة الوطنية الجزائرية"، وهي التي تعبر عن طموحات الشعب الجزائري وعليه يجب تنظيم نفس الكفاح وسط الجالية و العمال الجزائريين بفرنسا، مما أدى في كثير من الأحيان إلى وقوع صدامات عنيفة بين الطرفين وصلت أحيانا إلى التصفيات الجسدية وكل طرف كان يتحجج بمبرراته، فالمصاليون يرون في أنفسهم الأولوية استنادا إلى شرعية زعيمهم مصالي الحاج، أما مناضلي جبهة التحرير يستندون إلى طموحات غالبية الشعب الجزائري⁽³⁾. والذي قررت على إثره جبهة التحرير الوطني ضرورة تدعيم الثورة بهيئات خارجية تحت عنوان الولاية السابعة في التنظيم الثوري وفي النضال السياسي والعسكري أيضا⁽⁴⁾، الذي سيطلق عليه اسم "فيدرالية جبهة التحرير الوطني"، من خلال جمع كل معارضي مصالي والمركزيين، والمحايدين، وهم أعضاء المنظمة الخاصة الذين تسللوا عبر الحدود بوثائق هوية مزورة⁽⁵⁾ وكذلك التمرکز في المناطق ذات الكثافة العمالية الجزائرية، وتحديد برنامج عمل يتضمن التعريف بسلطة جبهة التحرير الوطني للمهاجرين كهدف عاجل، وإنشاء لجنة تختص بالدعاية، المالية والشؤون النقابية وتأسيس فرق التدخل، إحباط مخطط الشرطة الفرنسية، التحضير لعمل عسكري بفرنسا، تحسيس الرأي العام الفرنسي بحرب الاستقلال للجزائر⁽⁶⁾ وقد انشروا نفوس الجزائريين في المهجر واستبشروا خيرا بانفجار الثورة

المجيدة، ودعموها بمالهم وأنفسهم منذ الانطلاقة الأولى، رغم الرقابة الشديدة التي فرضتها السلطات الاستعمارية عليها إلا أنهم لم يترددوا في المضي قدما إلى الأمام، حيث لعبت الفيدرالية دورا كبيرا في مسيرة الكفاح، مثلها مثل جميع الولايات داخل الوطن في سبيل الاستقلال أين فاجأت الثورة التحريرية فرنسا الإستعمارية في عقر دارها. حيث لم تكن تتصور يوما ما أن شرارة الكفاح المسلح التي انطلقت بالجزائر ستنتقل لتشمل أراضيها. وهو ما يؤكد جدية جبهة التحرير الوطني في ضرب فرنسا ليس في الجزائر فقط وإنما داخل ترابها أيضا (7).

2- تأسيس فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا وشبكات دعمها:

أسندت قيادة جبهة التحرير الوطني إلى المجاهد المرحوم محمد بوضياف، مهمة تأسيس تنظيم تابع للجبهة بفرنسا باعتباره مسؤول الوفد الخارجي للجبهة، وقد اجتمع هذا الأخير بلكسمبورغ سنة 1955 مع إطارات حركة انتصار الحريات الديمقراطية المتواجدين في المناطق الشرقية لفرنسا، أين كلف مراد طربوش بتشكيل النواة الأولى لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا. فوزعت مناشير لبيان أول نوفمبر في مصانع بيجو للسيارات، وغيرها من المعامل والمناجم التي يشتغل فيها المهاجرون الجزائريون (8) كما قامت أيضا بدور كبير من حيث تنظيم صفوف المهاجرين الجزائريين وتوعيتهم بالدور المنوط بهم كطبقة عاملة واعية، وعملت اللجنة في ظل نقابات مختلفة، احتكت بالطبقة العمالية الفرنسية المستتيرة. ومرت فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا بأربع مراحل تاريخية، ميّزتها مضايقات الشرطة الفرنسية لأعضائها وفرض الرقابة على نشاطها الحزبي وهذا ما أدى إلى اكتشاف أمر القيادة الأولى لكن هذه العملية لم تمنع أعضاء الفيدرالية من مواصلة نشاطهم والعمل على تنظيم صفوف المغتربين الجزائريين (9) وقد استطاعت الفيدرالية كسب ثقة الجالية المهاجرة، ثم كسب تأييد المتعاطفين مع القضية الجزائرية من الفرنسيين ومنهم أعضاء شبكة

الدعم الأوروبية الذين قدموا خدمات جليلة لمناضلي الفيدرالية من خلال إيوائهم، ونقلهم إلى مختلف الأماكن تقاديا لاكتشافهم. اجتازت الفيدرالية منذ تأسيسها إلى غاية 1962، بمراحل تغيرت خلالها أعضاء قيادتها، التي كانت تسعى جاهدة إلى بلوغ أهدافها، فكانت الفيدرالية تقوم بتوزيع المنشورات والبلاغات، التي تشرح من خلالها أهداف الثورة التحريرية للرأي العام الفرنسي خاصة، والعالمية عامة للتعريف بعدالة القضية الجزائرية، وشرعية كفاح الشعب الجزائري من أجل استرجاع سيادته الوطنية وحريته، والتأكيد على ضرورة نقل هذا النضال إلى التراب الفرنسي. وكذلك كانت الفيدرالية تقوم بتحميل الجالية الجزائرية مسؤولياتها في المهجر، والرامية إلى تبني التحرر الوطني والعمل لأجله، وعدم السقوط في فخ أجهزة السلطات الفرنسية القائمة على دعم صراع الإخوة الأعداء، أي بين مناضلي جبهة التحرير الوطني والمتعاطفين مع الحركة الوطنية الجزائرية (المصالية) حيث أنشأت "فرق التدخل" خاصة لمواجهة التهديد والتصعيد الخطير ضد مناضلي جبهة التحرير الوطني. الذين بات عددهم في تنامي مستمر، فبعدما كان عددهم يبلغ 8000 عضوا في جوان 1956، ارتفع إلى 20.000 في منتصف 1957 وهو ما يترجمه الوجود المتزايد للعمال المهاجرين الجزائريين بفرنسا، فبعدما بلغوا 211.000 سنة 1954، ليصل عددهم إلى 350.000 سنة 1962⁽¹⁰⁾.

وتجدر الإشارة هنا إلى الجهود المضنية التي بذلتها جبهة التحرير في تأطير للجالية الجزائرية و توعيتها بالانضمام إلى صفوفها، بعدما كانت في غالبيتها منضوية تحت غطاء "الحركة الوطنية الجزائرية"- الحركة المصالية -. وهذا العمل كان يمر على مراحل وخطوات مدروسة، ضمن هيكل عسكري يسمى "المنظمة الخاصة" لفدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، واتباع تنظيمها صرامة كبيرة، فكان المناضل يمر بمرحلة المتعاطف، ثم المنخرط، بعد ذلك يصبح مناضلا في فدرالية جبهة التحرير بفرنسا، ثم يكلف من قبل مسؤول ولاية أو منطقة، ليشكل بذلك فرقة يتولى قيادتها في تنفيذ العمليات، حسب إقليم الاختصاص والتواجد، إذ كانوا موزعين على

خمس مناطق اعتمدتها الفدرالية هي: الأولى منطقة باريس وضواحيها، الثانية منطقة الشمال والشرق الثالثة منطقة الوسط (ليون)، الرابعة منطقة الجنوب الشرقي (مرسيليا)، الخامسة منطقة الجنوب الغربي. وكانت كل منطقة مقسمة إلى نواحي، ثم إلى أقسام، بعدها إلى قسامات، ففروع ومجموعات ثم إلى خلايا. مع مراعاة تخفيف العبء على المستويات القاعدية لتجنب الصدمات مع السلطات الإستعمارية، فجدد الخلية تتكون من ثلاثة مناضلين و على رأسها مسؤول الخلية، والمجموعة تتشكل من ثلاث خلايا ويرأسها مسؤول، وكل ثلاث مجموعات تشكل الفرع (11).

وأعيد تنظيم الفدرالية في ربيع 1958 وفقا لما تستدعيه الظروف فتقرر إيجاد هياكل لها خارج الحدود الفرنسية، في اتجاه سويسرا، بلجيكا، وخصوصا ألمانيا، حيث كانت جبهة التحرير قد استأجرت شقق صغيرة بفضل مساعدة الألمان في مدن عدة مثل برلين رينانيا، ويستفاليا وغيرها بعد أن أقامت فرعا لها في مدينة "ديسلدورف"، التي أصبحت فيما بعد مقر للفدرالية، وكل هذه الإجراءات للحفاظ على المناضلين الذين أصبح وجودهم في فرنسا يشكل خطرا عليهم بسبب مطاردتهم المستمرة و اغتياالاتهم من طرف المصالح الاستعمارية و المتواطئين معها، وبهذا الشكل كانت فدرالية جبهة التحرير تراقب بشكل واسع الجالية الجزائرية بعد أن قسمت التراب الفرنسي إلى أربع ولايات سنة 1958، وإلى ستة ولايات عام 1959، وبلغت سبع ولايات عام 1961، بعد أن ألحقت كل من سويسرا ألمانيا وبلجيكا، مع الإشارة إلى أن بلجيكا تتضمن ناحيتين، ألمانيا ثلاث نواحي، أما سويسرا فناحية واحدة (12).

وكان الغرض من هذا التقسيم المتزايد، توفير الوقت وتجنب التنقلات الطويلة للإطارات، فكلما زاد عدد المنخرطين، توجب اللجوء إلى النظام اللامركزي، ناهيك عن الخناق المفروض من طرف الإدارة وشرطة الاستعمار، بالتالي كانت قيادة فدرالية جبهة التحرير بفرنسا ملزمة بتغيير تنظيمها من حين لآخر، حتى لا تترك

الفرصة للسلطات الفرنسية لتكشف أمر هياكلها خاصة القاعدية منها. فبهذه المرونة يمارس مسؤول الناحية مهامه مع تعداد يفوق 3500 رجل منهم 500 مناضل ومسؤول حيث يقومون بعملية التنظيم والهيكلية، والتربية السياسية وجمع الأموال، دون أن ننسى الأعمال المسلحة التي يحضر لها مسبقاً، من طرف "مجموعات مسلحة"⁽¹³⁾. والتي تنفذ في الجوايس والحركى وممارسي التعذيب والمتعسفين من رجال الشرطة.

كما كانت للفرالية مهام مراقبة لجان الصحة والعدالة، وإجراء التحقيقات الاجتماعية، ودعم المساجين وتوجيههم في اختيار محاميهم وتبليغهم أدبيات جبهة التحرير بشتى الوسائل وتقديم الإعانة المادية لعائلاتهم. إضافة إلى عقد الاجتماعات مع رؤوسه مرة في الأسبوع، لدراسة الأوضاع وجمع الاشتراكات. وكانت وضعية العمال الجزائريون جد مزرية بفرنسا، حسب التقرير الذي قدمه "لويس بريلي" المفتش العام للإدارة بوزارة الداخلية الفرنسية، بعد اللقاء الذي خصه في هذا الشأن مع الحاكم العام بالجزائر "روجي ليونار" بعدما كلف من طرف كاتب الدولة للداخلية السيد "كونمبو" لدراسة وضعية العمال الجزائريين خاصة بالمتروبول (فرنسا). حيث تم اقتراح القيام بعملية إحصاء شاملة ودقيقة لهؤلاء العمال، ليتم التعرف من خلالها على جغرافية توزيعهم التي تخضع أساساً للمناطق التي ينتسبون إليها بالجزائر، حيث يتمركزون بفرنسا وفق هذا الانتماء، مشكلين بذلك تجمعات ذات الروابط العائلية والأسرية، وذكر الحاكم العام في تصريح له بهذا الصدد، أن مداخل العمال الجزائريون من العلاوات قد بلغت ثلاثة ملايين فرنك، والتي تكفي لمعيشة مليون نسمة لمدة سنة⁽¹⁴⁾. ونستنتج من ذلك أن هذه الوضعية قد سهلت من مهمة مسؤولي الفدرالية، كما ندرك أيضاً أهمية مداخل العمال التي سترجع فيما بعد بالنفع الكبير على تغطية جزء هام من مصاريف الثورة، بعدما يتم جمعها في شكل اشتراكات من طرف فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، التي كانت تعمل

بثبات وانتظام عبر كل فترة الثورة التحريرية، من خلال المراحل الأربعة 1954-1962 كما هي مبينة في الجدول التالي (15).

الفيدرالية الأولى:	الفيدرالية الثانية:	الفيدرالية الثالثة:	الفيدرالية الرابعة:
1955-1956	1956-1957	1957-1958	1958-1962
- مراد طربوش - عبد الرحمان غراس - أحمد دوم - نور الدين بن سالم - عبد الكريم السويسي - محمد مشاطي - صالح الونشي - محمد ماضي - أحمد طالب الإبراهيمي	- محمد لبجاوي - الطيب بولحروف - قدور العدلاني - أحمد بومنجل - حسين منجي - السعيد بوعزيز - عبد الكريم سويسي	- عمر بوداود - أحمد بومنجل - قدور العدلاني - محمد حربي - السعيد بوعزيز - حسين منجي - مسعود قروج	- عمر بوداود - علي هارون - قـدور العدلاني - السـعيد بوعزيز - عبد الكريم السويسي

(2)- نشاطات فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا:

لقد نجحت فدرالية جبهة التحرير بفرنسا في تنظيم صفوف المغتربين الجزائريين، فكانت وراء تحقيق نجاحات متتالية، تمثلت بالدرجة الأولى في كسب ثقة الجالية المهاجرة، خاصة العمال منهم، حيث تم إنشاء الودادية العامة للعمال الجزائريين في فيفري 1957 والتي كانت بمثابة ممثل لدى النقابات الفرنسية، من أجل الدفاع عن حقوقهم المادية والاجتماعية، وهي تعد فرعا للاتحاد العام للعمال الجزائريين⁽¹⁶⁾، وكانت تنشط وفق التنظيم الذي أقرته الفدرالية، في مجالس محلية وقطاعية ثم جهوية وتترأسها لجنة التنظيم، واستطاعت الودادية نسج علاقاتها مع مختلف الأوساط السياسية

والدينية، والحركات المناهضة للاستعمار، وأصدرت جريدة "العامل الجزائري" باللغة الفرنسية، في الجزائر باعتبارها اللسان المركزي للاتحاد، ثم انتقلت إلى فرنسا، و تم توقيفها من طرف السلطات الاستعمارية سنة 1958⁽¹⁷⁾، وعملت الودادية على الدفاع عن حقوق العمال الجزائريين من جميع الجوانب، إضافة إلى دعمها باشتراكاتها المالية عبر شبكات العمال الجزائريين في المهجر، ومناضلي فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا، أين يتم نقلها إلى سويسرا ليتم إيداعها في حسابات جبهة التحرير الوطني التي تقوم بدورها في تمويل جيش التحرير في الداخل سيما في مجال التسليح. و من مظاهر تضامن الجالية الجزائرية مع الثورة التحريرية و فيدرالية جبهة التحرير الوطني، هو خروج حشود كبيرة من المهاجرين عند نهاية الأسبوع الأول من شهر أكتوبر سنة 1955، في عدة مقاطعات بفرنسا مثل "باريس"، "سانت إتيان"، "ميتر" في شكل تجمعات للقيام بمسيرة يشاركون فيها بعض المتضامنين معهم من الأجانب وكان عددهم يقدر بالألاف، حاملين معهم الهراوات و العصي، رافعين لافتات وشعارات معادية للإستعمار، منادية بإستقلال الجزائر، فوقعت في إشتباكات مع الشرطة مما خلف العديد من الجرحى و القتلى من كلا الطرفين، ودامت المظاهرات طوال النهار إلى غاية ساعات متأخرة من الليل⁽¹⁸⁾.

وأعيدت الكرة مرة أخرى مع جموع غفيرة من المهاجرين في وقفات احتجاجية في بداية شهر أفريل 1956 بالعديد من المدن الفرنسية منها "سان جورج"، "رينونفيل" و "موبيج" رافعين للعلم الوطني ولافتات معادية لفرنسا، أين فرقته الشرطة بالقوة مخلفة في أوساطهم العديد من الجرحى والاعتقالات بعد حدوث اشتباكات بين المتظاهرين والقوة العمومية، ناهيك عن التوقيفات العشوائية التي تقترب في حق المهاجرين الجزائريين من حين لآخر بحجة تهديد أمن وسلامة التراب الفرنسي⁽¹⁹⁾.

ومن المظاهر التي تبين تشبث الجالية الجزائرية بالوطن والمساندة القوية لجبهة التحرير الوطني، هو الاستجابة لإضراب الثمانية أيام الذي دعت إليه في 28 جانفي 1957 حيث أغلقت بعض المحلات التي يشغلها جزائريون بالعاصمة و مدن أخرى بفرنسا، وتجمع العديد من المهاجرين بشوارع تلك المدن ينددون بظلم الاستعمار ويطالبون باستقلال الجزائر، وتم اعتقالهم بشكل مكثف بسبب محاولة المساس بالأمن والنظام العام⁽²⁰⁾.

كذلك استطاعت الفيدرالية كسب تأييد المتعاطفين مع الثورة من الفرنسيين وغيرهم من الأجانب، ونخص بالذكر في هذا المجال، تلك الشبكات السرية التي أنشأها فرنسيون التي تشكلت في غضون سنة 1958 لدعم كفاح الشعب الجزائري في فرنسا نفسها، حيث إرتبطت بشخصية الأستاذ الفيلسوف " فرنسيس جونسون "، الذي إستغل الوسط الثقافي والفكري لنشر مبادئه وإقناع أصدقائه وتجنيدهم أتباعه. ومن أجل نشر هذه المبادئ لجأت الشبكة إلى إصدار نشرية سرية تحت عنوان " من أجل حقيقة، Pour Verite " تحت إشراف الكاتب "ديونيس ماسكولو Dionys Mascolo" وكانت تسحب في حوالي ألفي نسخة في البداية ثم وصلت إلى غاية خمسة آلاف نسخة، وصدر أول عدد لها في سبتمبر 1958، وكانت شهرية يوزعها أعضاء الشبكة في أوساط بعض الشخصيات السياسية والثقافية، والمناضلين في أحزاب اليسار والشيوعيين والمسيحيين الملتزمين ضد الحرب والإستعمار. وكانت شبكة "جونسون"، تضمن كذلك عبور المناضلين الجزائريين خاصة المسجونين منهم بعد تنظيم عملية فرارهم من السجن، أثناء نقلهم وتحويلهم من سجن إلى آخر وضمان خروجهم من التراب الفرنسي. ناهيك عن الأموال التي تجمعها الشبكة لصالح الثورة. وكان يبلغ عدد أفراد شبكة "جونسون" ما بين 2000 و3000 عنصر، انضموا إلى الشبكة عن قناعة، سواء إيديولوجية، أو فكرية أو سياسية، فكان منهم المثقفين، الأساتذة الصحفيين، الكتاب، الفنانين على اختلاف طبوعهم مثل المغنيين والكوميديين والمنتجين وغيرهم، وبالتالي فهم يشكلون الفئة النخبوية في المجتمع الفرنسي. وبعد اكتشاف أمر الشبكة، إطلع الرأي العام الفرنسي على هذا النبأ عندما تداولته الصحافة الفرنسية، في فيفري

1960. كما نذكر أيضا في هذا المجال شبكة "هنري كوريل"، التي كانت تسير وتعمل بطريقة موازية مع شبكة جونسون، حيث واصلت مهام شبكة جونسون بعد توقيفها خاصة في مجال تحويل الأموال لصالح فدالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا⁽²¹⁾.

3- العمليات الفدائية للفيدرالية داخل التراب الفرنسي:

بعد تعيين عمر بوداود على رأس الفدالية الرابعة لجبهة التحرير الوطني بفرنسا الذي كان محملا بتوجيهات لجنة التنسيق و التنفيذ، ألتي تهدف إلى إيجاد جو من اللأمن، الذي يجعل الحكومة الفرنسية تضطر إلى إبقاء جل جيوشها رابضة على التراب الفرنسي للوقاية من أي طارئ قد يصيب المنشآت الفرنسية الحساسة و الاستراتيجية من التخريب، مما يساعد هذا على منع فرنسا من إرسال المزيد من قواتها وترسانتها العسكرية إلى الجزائر وبالتالي خفض وتيرة الحرب التي ستعود بالفائدة على جيش التحرير الوطني، ولإنجاح هذه المهمة كان على المسؤول الجديد للمكتب المسير للفدالية أن ينشئ أولا خلايا مسلحة خاصة بالعمليات القتالية، فأسندت مسؤوليتها لأحمد دوم، وبعده لعبد الكريم سويسسي، فوسع هذا الأخير رقعة نشاطه في مجال التسليح، حتى يتم الإبقاء على خلايا جبهة التحرير قوية وفعالة، أمام تنظيم "الحركة الوطنية الجزائرية"، بفرنسا ناهيك عن المتابعات و المضايقات المستمرة للسلطات الفرنسية ونسفها لهذه الخلايا في مهدها. وفي هذا الإطار أرسل عبد الكريم سويسسي، أحد العناصر وهو سليم رياض في مهمة إلى إيطاليا، نجح من خلالها في عقد صفقة أسلحة، التي سمحت باقتناء حصة أولية من مسدسات بيريطا القوية بسعر معقول جدا، عرفت وقتها باسم "عملية بيريطا"⁽²²⁾. تعد هذه العملية دليلا قاطعا على جدية جبهة التحرير الوطني لضرب فرنسا داخل ترابها، كما أكدت العمليات المسلحة للسلطات الاستعمارية قوة الجبهة في ضرب المؤسسات الاقتصادية والمنشآت الحيوية. بعد أن غذى مجيء الجمهورية الخامسة، وأماما غير معقولة للقضاء على الثورة، هذه الجمهورية التي تميزت نزعتها الحربية بالتعبئة الكاملة ووضع وسائل عسكرية جديدة معتبرة، والتكثيف من العمليات العسكرية بالجزائر، بالإضافة إلى الجو السياسي الذي أحدثه وصول ديغول إلى الحكم⁽²³⁾.

نتيجة لما سبق، كانت المعارك بالجزائر تشتد ضراوة، فكان لابد على فدرالية جبهة التحرير الوطني أن تقوم بعمليات واسعة النطاق في فرنسا تنفيذا لتوجيهات لجنة التنسيق والتنفيذ التي تعتمد استراتيجية بالغة الدقة في توجيه مسيرة الثورة التحريرية المباركة، وتقودها خطوة بخطوة نحو النصر وتحرير الجزائر. ونذكر بعض العمليات التي أحدثت هلعا كبيرا في الوسط الفرنسي، ولقيت صيتا كبيرا في الوسط الدولي. ومتمثلة في:

أ) - عمليات 25 أوت 1958 الفدائية بفرنسا:

جاءت نتيجة دراسة دقيقة للموقف والآثار التي ستنتج عنها من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ، بعد ذلك أصدرت الأمر إلى الفدرالية لتنفيذه، التي استدعت بدورها مسؤولي الولايات والمصالح الكبرى بالفدرالية لعقد اجتماع في منتصف شهر جويلية 1958 "بكولون مولهيم" في ألمانيا وحضر فيه عمر بوداود كرئيس للجنة الفدرالية، سعيد بوعزيز كمسؤول عن التنظيم الخاص، علي هارون كمسؤول عن الإعلام والتكوين والدفاع عن حقوق المعتقلين، قدور العدلاني كمسؤول التنظيم الإداري والسياسي وعبد الكريم سويسسي كمسؤول الإدارة والمالية. إضافة إلى موسى قبايلي مسؤول الولاية الأولى، وحمامة حداد مسؤول الولاية الثانية، وعمور غزالي مسؤول الولاية الثالثة، وإسماعيل منعة مسؤول الولاية الرابعة، وبشير بومعزة مسؤول مجمع المحامين المشكل من قبل جبهة التحرير الوطني، للتكفل بالجزائريين المعتقلين بالسجون الفرنسية. وناقش الجميع لمدة أسبوع كامل إمكانية فتح جبهة ثانية لمواجهة فرنسا على أراضيها، بعد أن قدم كل رئيس ولاية عرضا عن إمكانياته المادية والبشرية، بعد ذلك وزعت المهام على المشاركين، في جو من الحماس والرغبة في العمل المسلح، وتم إعداد مخطط للعمليات خلال ليلة 24 و 25 أوت 1958 وحددت الساعة الصفر كموعدا لانطلاق العمليات، التي عمت ربوع التراب الفرنسي (24).

وفي منتصف الليل هوجمت عدة أهداف ذات طابع اقتصادي وعسكري، واستهدفت هذه العمليات معامل تكرير البترول، ومستودعات البترول ومراكز اقتصادية ومصانع الأسلحة والمنشآت العسكرية، وقد جرت هذه الهجمات في مناطق عديدة مثل "مارسيليا" و"تولوز" و"فروننتيان" و"غرونوبل" و"لوهافر"، كما أضرمت النيران في الغابات في منطقة "كوت دازوغ" و"قرب مارتينغ". أما في الضاحية الباريسية تم تخريب منشآت عسكرية، وتم حرق مصنع ومستودع للوقود "بايفري"، أما في "فان سان" فقد كان مصنع الخرطوش هدفا للهجوم، وأحرق مرأب تابع للشرطة بباريس، وفيما يخص الضاحية المجاورة لمرسيليا أحرقت خزانات الوقود، ووصلت ألسنة اللهب إلى المرافق الإدارية المجاورة، الأمر الذي أجبر قوات الشرطة على إخلاء أحياء كاملة من سكانها. فتجسدت الحرب في كل ربوع فرنسا في الشوارع الباريسية والريف الفرنسي، وحول المراكز الصناعية والموانئ والمطارات. كانت النتائج بالغة الخطورة، إذ اضطرت الحكومة الفرنسية إلى الإعلان عن تعبئة قوات الشرطة وإلى الاستعانة بالجيش، وهكذا وضعت كل النقاط الحساسة تحت حراسة الجيش مباشرة كمفتربات السكة الحديدية والجسور الرئيسية، ومصانع الحديد والصلب ومعامل تكرير البترول والموانئ والسدود ومحطات النقل، وقدر رسميا عدد الأشخاص الذين أسندت لهم مهمة المراقبة بـ 80 ألف شخص تم تحويلهم للضرورة من وحدات الجيش الفرنسي المرابط في الجزائر، وضاعفت الشرطة من المراقبة والمداهمات والاعتقالات، وأعلنت عن حظر التجول خاص بمواطني شمال إفريقيا، بدأ مفعوله يوم 25 أوت 1958. وكانت حصيلة الخسائر كالتالي: ففي الفترة ما بين 24 أوت إلى غاية 27 سبتمبر سجلت 56 عملية تخريب و242 هجوما ضد 181 هدفا، وقد خلفت لدى الطرفين 118 جريحا و82 قتيلا وزج بألاف الجزائريين في غياهب السجون والمعتقلات⁽²⁵⁾.

استمرت هذه العمليات إلى أن أصدرت الحكومة المؤقتة تعليماتها إلى قيادة الفدرالية لإيقاف العمليات الفدائية في شهر جوان 1960، غير أن أعضاء الفدرالية لم يتوقفوا بشكل كلي عن تنفيذ العمليات العسكرية، ردا على العمليات المسلحة التي كانت تقوم بها منظمة الجيش السري الفرنسية المتطرفة، ضد الجالية الجزائرية بفرنسا، ناهيك عن الممارسات القمعية من طرف الشرطة الفرنسية (26). وكان لها صدى كبيرا، ففي الجزائر استقبلت في صفوف جيش التحرير الوطني بالصدر الرحب فتنفس منها الصعداء. أما في فرنسا فقد شغلت هذه العمليات وسائل الإعلام لفترة طويلة، وجندت كل طاقاتها للحيلولة دون تردي الأوضاع بها.

ب) - مظاهرات 17 أكتوبر 1961:

تندرج هذه المظاهرات ضمن استراتيجية الثورة التحريرية، التي اختارت في البداية فرض وجودها في الواقع الجزائري بالعمل المسلح، وبالموازاة نقل ذلك العمل إلى فرنسا حيث كثفت فدرالية جبهة التحرير بفرنسا من نشاطها في هذا المجال، بتعبئة شاملة للمهاجرين الجزائريين بفرنسا. أين اتخذت الحكومة الفرنسية جملة من إجراءات القمع والتعذيب ضد الفرنسيين المسلمين، بشكل متنامي وفظيع إضافة إلى إعلان محافظ الشرطة بباريس مورييس بابون، على أن اليوم الخامس من شهر أكتوبر 1961، بداية لفرض حظر التجوال على المهاجرين الجزائريين بفرنسا، من الساعة الخامسة ونصف مساء، إلى غاية الخامسة صباحا، وكذا منع التجمعات التي تزيد عن ثلاثة أشخاص، ولأن أغلب نشاطات جبهة التحرير الوطني بفرنسا يتم ليلا، أدركت الفدرالية مدى خطورة و عواقب هذا القرار بعد أن أجمعت تقارير الولايات كلها أن حظر التجول سيفضي إلى شل كل نشاطات جبهة التحرير الوطني، وكان لزاما على اللجنة الفدرالية أن تفكر مليا في الأمر، وتقوم برد فعل منظم و عملي، فقررت تنظيم مظاهرات سلمية وفق برنامج عمل يدوم ثلاثة أيام،

ففي اليوم الأول يقوم الرجال والنساء بالتظاهر في أزقة باريس ابتداء من الساعة السابعة مساءً، مع أولادهم مطالبين بالمفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وفي اليوم الموالي تتظاهر النساء للمطالبة بإطلاق صراح أزواجهن و أولادهن، الذين افترضت الفيدرالية أن يتم اعتقالهم في اليوم الأول، أما في اليوم الثالث يقوم العمال والتجار بإضراب عام تعبيرا عن تضامنهم مع المتظاهرين وعائلاتهم (27).

استجابات الجالية الجزائرية لنداء جبهة التحرير في الموعد المحدد، فخرجت يوم 17 أكتوبر في مسيرات بشوارع باريس بتعداد يفوق ثلاثين ألف متظاهر إلى الشوارع الرئيسية لمدينة باريس مرددين شعار "الجزائر جزائرية"، غير أن مورييس بابون أمر شرطته التي تدعمت بقوة إضافية من 7000 فرد، بإفشال المظاهرات السلمية و قمعها، أين استعملت القنابل المسيلة للدموع، الضرب بالهراوات، والرمي العشوائي بالرصاص دون تمييز، حيث كانت أزقة المدينة مليئة بجثث المتظاهرين الذين ألقى بهم أحياء و مقتولين في نهر السين، الذي احمر لون مائه بدماء الشهداء الذين بلغ عددهم 327 شهيدا، لقوا حتفهم و 50 آخرين ألقوا بهم الشرطة الفرنسية بعد إعدامهم بالرصاص و 30 استشهدوا حرقا، و 120 آخرين ألقى بهم في عرض البحر المتوسط خلال عملية الترحيل التي طالت ما يقارب 1500 جزائري و 70 أعدموا شنقا بغابة "بولون فانسان" و 40 قتلوا بدم بارد في محطة الحافلات ببلدية "كليشي" و "ساندوني" و "ننتير"، ناهيك عن آلاف الجرحى والمعتقلين (28). ورغم ذلك حققت مظاهرات 17 أكتوبر 1961 حيث ساهمت في تسريع سير وتيرة المفاوضات بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وفرنسا الاستعمارية كما كان لها صدى إيجابي على الصعيد العالمي فخدمت القضية الجزائرية، بتجاوز كل التوقعات وبشكل إيجابي جدا.

(ج) - إضراب 01 نوفمبر 1961:

أصدرت فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا إلى المعتقلين والمساجين أمر بالإضراب عن الطعام تزامنا مع إحدى الاجتماعات لهيئة الأمم المتحدة، فدام عشرون يوما وكان إضرابا تاريخيا، إذ تردد صده بين أروقة هيئة الأمم المتحدة، أين قامت الجمعية العامة باستبدال الموضوع المدرج للمناقشة، من أجل التداول حول موضوع **"وضعية المساجين الجزائريين في فرنسا"**، وغادر الوفد الفرنسي الذي يترأسه بيرار، بعدما أعلن استيائه لهذا الأمر. فدعت هيئة الأمم المتحدة فرنسا إلى الاعتراف بحقوق المعتقلين الجزائريين، وطالبتها بإيجاد سياسي للنزاع الدائر بينها وبين جبهة التحرير الوطني، وذلك عن طريق التفاوض المباشر معها. وقد حقق الإضراب نتائج باهرة، إذ أدى إلى تحسين واضح لأوضاع المعتقلين الجزائريين، وقد لعبت لجنة ممثلي المساجين دورا أساسيا في إنجاحه من خلال تكفلها التام بإدارته في كل سجن أو معتقل، وتكفلت الفدرالية من جهتها بالتنسيق بين مختلف مواقع الاعتقال بتنظيم مساندة دولية بواسطة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، مما ساهم بشكل كبير في إنجاح هذه المساندة على الصعيد الدولي (29).

بهذا الشكل ساهمت فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، بتنظيم وتعبئة جمهور المهاجرين الجزائريين، لخدمة قضيتهم الوطنية، كما استطاعت أن تكسب مساندين ومتعاطفين من جنسيات مختلفة خاصة الأوروبية منها، تعاطفوا وساهموا في انتصار الحق على الباطل، مما شجع على تحكم الفدرالية في تسيير شؤونها، بحزم وثبات بفضل الانسجام السائد بين أعضائها، وباستشارة قيادة الثورة الرشيدة التي دعمتها بقرارات صائبة وأفكار نيرة وسديدة، سائرة في درب التحرر والاستقلال الوطني.

- الهوامش:

- (1)- ليندة عميري، معركة فرنسا، حرب الجزائر بفرنسا، ترجمة فضيل بومالة، منشورات الشهاب، 2013، ص 25.
- (2)- المرجع نفسه، ص 27.
- (3)- علي هارون، الولاية السابعة التاريخية، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي، 1954-1962 دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 18.
- (4)- Mohand Akli Ben Younes, Laguerre d'Algérie en France 1954-1962, sept ans dans le feu du combat, Casbah Edition, Alger 2012, p.16.
- (5)- علي هارون، المصدر السابق، ص 24.
- (6)- نفسه، ص 26.
- (7)- أحمد صاري، شخصيات و قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية غرداية، 2004، ص 156.
- (8)- عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية، 1954-1962 ، ترجمة عالم مختار، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007 ، ص 227.
- (9)- Nacer Eddine Ait Mokhtar, la guerre d'Algérie en France, 1956-1962, mémoire et combats, Edition Chihab Edition, 2017, p.31.
- (10)- دحو جربال ، المنظمة الخاصة لفدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، تاريخ الكفاح المسلح لجبهة التحرير الوطني 1956-1962، منشورات الشهاب 2013 ، ص 40.
- (11)- سعيد بزيان، دور الطبقة العاملة في المهجر، في ثورة نوفمبر 1954، التاريخ السياسي و النضالي للعمال الجزائريين في المهجر من نجم شمال إفريقيا إلى الاستقلال.
- (12)- أحمد صاري، مرجع سابق، ص 157.
- (13)- دحو جربال، مرجع سابق، ص 60.
- (14)- In l'Echo d'Alger, « la situation des ouvriers Algériens au métropole » numéro 15654, du 08 octobre 1954.
- (15)- علي هارون، المصدر السابق ص 87.
- (16)- Mohamed lebjaoui, vérité sur la révolution Algérienne, Edition Gallimard, Paris 1970, p77.
- (17)- صباح نوري هادي، حنان طلال جاسم، تنظيمات العمال و الطلبة المهاجرين و دورهم في المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالى ع 52 العراق، 2011، ص 8.

- (18)- In l'Echo d'Alger, «à Saint Etienne, Lille, Metz, Douai...des sanglantes manifestations sont organisées par l'ex M.T.L.D », numéro 15967, du 09et 10 octobre 1955.
- (19)- In l'Echo d'Alger, « par atteinte a la a la sureté de l'état 26 F.L.N et M.N. Arrêtés dans la région Parisienne » ; numéro 16367, du 20 et 21 janvier 1957.
- (20)- In l'Echo d'Alger, «Echec a la grève lancée Hier en Algérie » numéro 16374, du 29 et 21 janvier 1957.
- (21)- علي هارون، المصدر السابق، ص423.
- (22)- دحو جربال، المرجع السابق ص113.
- (23)- سي لخضر بورقعة، شاهد على إغتيال ثورة، ط1، دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر 1990، ص 23.
- (24) - Nacer Eddine Ait Moktar, Op.cit., p.101.
- (25) - Ibid., P.103.
- (26) - Ibid., P.106.
- (27)- علي هارون، مصدر سابق، ص497.
- (28)- المصدر نفسه، ص499.
- (29)- ليندة عميري، المرجع السابق، ص. 157 .